ديزيره سقال

كتاب السندباد

(الطبعة الثانية)

٢٠٢٠

مَكْتَبَةُ
لِسَانِ العَرَب
أ. علاء الدين شوقي
رابط بديل
lisanerab.com
www.lisanarb.com

ديزيره سقال

كتاب السندباد

(الطبعة الثانية)

٢٠٢٠

عندما هاجرالسندبادُ وعاد

"السندبادُ كالإعصارِ إنْ يَهدأْ يمُتْ"
(صلاح عبد الصبور)

– ١ –

طَوَتْكَ المسافاتُ وانبَلَجَتْ في يديكَ النجومُ،
وكنتَ رحيلًا
إلى مُدُنِ الخوفِ والعِشْقِ
في آخرِ ألأمسياتِ...

تَحَلَّقَ حولَكَ نَبْضُ الزمانِ الأخيرِ،
وأدمَنَكَ البحرُ وجهًا عتيقًا.
خَلَتْ من ضميرِكَ أرضُ القرى،
وانحَنَتْ خلفَكَ "الحرْبُ" تمضَغُ صمتَ النجومِ.
تركتَ السماءَ قناعًا،
تركتَ الفضاءَ نحاسًا
يحاصرُ نزْفَ الليالي...

– ٢ –

مِنْ زمانٍ رمادٍ

لم تُلوِّحْ سفينَهْ
– منذُ أنْ تركَ السندبادُ البلادْ –
كانت "الحرْبُ" تهدرُ في الناسِ
خافَ وراحَ ولَمّا يَعُدْ...
واضمَحَلَّت ظلالُ المدينَهْ،
وبكى النَخْلُ والموجُ،
والسندبادُ تَحَنّطَتِ الدربُ في يدِهِ.
هرَبَ النَسْرُ،
والصبرُ هاجرَ في القلبِ،
والصدى لاهِثٌ، والعبارَهْ

غرقَتْ في المسافاتِ
واختنَقَتْ في شِفاهِ الحجارَهْ...
كنتَ في آخرِ الدربِ صمْتًا
يفتِّشُ عنْ وجهِهِ،
والسَرابُ يحاصِرُ كلَّ العيونْ.
طوتْكَ المسافاتُ
وانتحَرَتْ في خطاكَ الليالي،
رمتْكَ المسافاتُ عبرَ الصدى.
كلُّ شيءٍ تجلّى لعينيكَ –
صارَ الَمعادُ ينابيعَ ذُعرٍ

وكفّاكَ وهجًا من الشوكِ والرملِ
حولَ الدُنُوّ الجديدْ...

– ٣ –

كان في وَهْجِ عينيكَ شَوقٌ غريبٌ
يُنازِعُكَ الظلَّ.
حاولْتَ... حاولْتَ...
لكنَّ وجهَكَ عادَ،
وأتْلَفَكَ البحرُ والموجُ –

عُدْتَ إلى الأرضِ وجهًا عتيقًا،
سَباكَ التشرُّدُ،
هاجرَ فيكَ اشتياقُكَ،
عدتَ إلى البيتِ
تلتمُّ شَيخًا بصمتِ المدى.
كلُّ شيءٍ تجلّى لعينيكَ –
حاولتَ أن تختفي،
أن تعودَ إلى البحرِ،
لكنّما كنتَ في آخرِ البحرِ
و"الحرْبُ" حولَكَ أُفْقٌ.

رمَتْكَ المتاهاتُ خلفَ المتاهاتِ،
ضَيَّعْتَ عُمرَكَ،
حينَ تجلّى لعينيكَ
هذا السكونُ الأخيرْ...

– ٤ –

أُفرِغَ الليلُ من أوجُهِ الناسِ،
أَعْتَمْتَ،
نازَعْتَ ظِلَّكَ فَيْءَ الطريقِ،

ترَهَّلْتَ،

هاجرْتَ والليلَ في الرُؤيا.

وإذا "الحربُ" تُلقي الجماجمَ فوقَ الورى.

يَبزُغُ الصمْتُ،

تَنأى المدينةُ،

تبقى...

تغرقُ الدربُ في البحرِ،

يتطفئُ الناسكُ المِيْتُ،

تبقى...

يرحلُ الصمتُ،

تنأى النسورُ العتيقةُ،

تبقى...

ترحلُ "الحربُ"،

تتنأى معَ الكلِّ،

تبقى

وحيدُا وحيدًا معَ الكهفِ تسكنُهُ،

والعويلْ

يتصاعدُ منكَ ويُصلَبُ فوقَ جباهِ الأصيلْ.

ضَجَّ فيكَ اللهاثُ،

وضَجَّتْ عواصِفُ الغضَبِ البكرِ،كَوَّنْتَ "حرْبًا"

ودربًا حزينَهْ،

وانطفأتَ/ حُمِلْتَ معَ "الحربِ" عَبْرَ الخَضَمِّ
وعيناكَ جوعٌ مُدَمَّى
على عويلِ السفينَهْ...

(١٩٧٤)

عودة السندباد

– ١ –

تَدخلُ الدربَ في ظِلِّ مركبةٍ للمتاهاتِ،
لكِنّما تنزِفُ الدربُ بينَ يديكَ.
تَهاوَيْتَ منتحِرًا خَلفَ بَهْوِ السديمْ
وأَتْلَفَكَ الشِّعْرُ والحُبُّ...
عَبَّأْتَ رملًا
وضاجَعْتَ شَوكَ الترابِ –
تَراخَيْتَ في مُدُنٍ أعْمِيَتْ،
واصطَدَمْتَ بمَدٍّ مِنَ الليلِ،

مَدٍّ مِنَ الزحْفِ والشوكِ،
مَدٍّ منَ الموجِ قاسٍ...
تعودُ ركامًا،
ووجهًا يراوِحُ خلفَ الحطامِ القديمْ...

– ٢ –

تدخلُ الآنَ مُفترَقِ الصبْرِ،
أوْ جلدَ صَخرٍ تدَحْرَجَ منذُ عصورٍ عِجافٍ...
تدخلُ الآنَ ظلَّ المتاهاتِ

والبرْدُ يثقبُ جوعًا طويلًا...
وتهوي
إلى حَيثُ يَنبسِطُ البحرُ في قرمزٍ لاهبٍ
شوكةً
أو نُحاسًا قديمًا.
ويُضْنيكَ، يُؤلِمُكَ البحرُ، يا سندبادُ،
يحوِّلُكَ الصبرُ نُصْبًا قديدًا...
ربّما تُشرِقُ الشمسُ ثانيةً منكَ
أو يستديرُ الترابُ كنَهْدٍ بعيدٍ
على قصْعةٍ من حطامِ السديمْ

وينهضُ في وجهِكَ الموجُ
بُرْجًا منَ اللَيْلَكِ المستحيلِ؛
ولكنّكَ الآنَ تهوي
إلى حيثُ يُرْديكَ شِعرٌ مريضٌ،
وتبقى رخامًا
ووجهًا يراوحُ خلفَ الحطامِ القديمْ...

– ٣ –

بعيدًا...
كما يحلمُ النورُ بالنورِ،

تلقى الترابَ نحاسًا،
وتلقى البحارَ نحاسًا،
بعيدًا...
كما تُلهِبُ الأرضُ وجهَكَ بالدمعِ،
تهوي،
كما الأرضُ في يأسِها المستفيقْ،
ونأوي إلى آخرِ البَحْرِ
ظلاًّ كسيرًا يُراوِح عندَ انغلاقِ الطريقْ...!

– ٤ –

ترجعُ الآنَ في ظلِّ مركبةٍ للمتاهاتِ
والأرضُ تنزفُ بينَ يديكَ –
تمدُّ يدًا من ترابٍ وشوكٍ،
تمدُّ حُطامَ السفينِ
إلى آخرِ الأفْقِ،
تحضنُ أمَّكَ وَهْيَ تموتُ
وتنزفُ بينَ يديها النحاسْ...
تدخلُ الصمتَ في الهاجسِ المرِّ،
تنزفُ رملاً وغيمًا يَباسْ،

وتهوي وحيدًا
إلى حيثُ يُرديكَ شِعرٌ مريضٌ،
وينهضُ حولَكَ مَدٌّ من الليلِ،
مَدٌّ منَ الزحفِ والرملِ،
مَدٌّ منَ الشوكِ قاسْ...
تعودُ
كما يُشعِلُ الليلُ أشباحَهُ
في ثيابِ الأديمْ،
تعودُ كما تُضرِمُ الأرضُ عيدًا حزينًا،

تعودُ رخامًا،

ووجهًا يراوِحُ خلفَ الحطامِ القديمْ...

(١٩٨٠)

السندباد الأخير

– ١ –

أَقْفَلَتْ وجهَها الدربُ
وانثقَبَ الصمْتُ –
مَنْ يُغلِقُ الوقْتَ؟
ثَمَّ ابتعادٌ...
أيُبقيكَ هذا التمدُّدُ مُنحجبًا؟

أقفلَتْ وجْهَها الدربُ –

كنتَ السُّؤالْ

غريبًا وفي يدِكَ البحرُ تُسكِنُهُ حِسَّكَ الميْتَ.

أينَ الهبوبُ؟

تُراكَ مَرَرْتَ على آخرِ الدربِ

فانشطرَتْ

ثمَّ نمتَ، تُراكَ...؟

وبيروتُ أُحجيةٌ ثقَبَتْ صَمْتَها فانثَقَبْتَ...

هنا آخرُ اللونِ.

ثَمَّ ابتعادٌ...

أَيُبقيكَ هذا التمَدُّدُ مُنحجبًا؟

– ٢ –

وردةُ الحلْمِ تحلمُ في هاجسٍ من رمادٍ.
جثثٌ تعبرُ اللونَ – ثَمَّ اصفرارٌ
ولونٌ غريبٌ...
كطَعمِ الرمادِ...
بقيّتُكَ الآنَ تثقبُ صوتَ الغيابْ.
مَنْ هنا؟ وجْهُكَ؟ أخفِهِ الآنَ عنّا... سَرابْ؟
جرَسُ الليلِ يُحْرِقُ ما واكَبَتْهُ انتظاراتُهُ.
مَنْ هنا؟ حزلَكَ السرُّ...
مَنْ؟...

لِيَكُنْ/ فَهْوَ لَن يُفلِتَ الحلْمَ من رُقَعِ الأمسياتْ.
لِيَكُنْ...
جرَسُ الليلِ يُحرِقُ ما قَدَّسَتْهُ الرفاتْ.

– ٣ –

أقفلَتْ وجهَها الدربُ
وانقفلَ الصمتُ –
ثَمَّ جدارٌ وما تقذِفُ الأرضُ.

ثَمَّ انسِدالٌ. على الأرضِ بعضُ غبارٍ وأغشِيَةٌ لا تُعَدُّ. أَيَحملُكَ البحرُ ثانيةً أم تظلُّ على الوقتِ مُلقًى؟ وكفّاكَ تنفتِحانِ على اللونِ (يعبرُكَ اللونُ عَبْرَ التحَوُّلِ)

ثُمَّ تلوحانِ بينَ الهواجسِ –

مَنْ يَقرعُ الذاكِرَهْ؟

ربّما أدمنَ الوقتُ أرضَكَ، أوْ

أدمنَتْ أرضُكَ الوقتَ...

مَنْ يَقرعُ الداكرَهْ؟

ربّما أخذتْكَ الطيورُ المهاجرَهْ.

ربّما افترَعَ الوقتُ جَفنيكَ –
لكنّكَ الآنَ أنتَ
فَمَنْ يقرَعُ الذاكرَهْ؟

– ٤ –

مِنْ هنا تكسِرُ المعدِنَ المرَّ/

حولَ يديكَ النوارِسُ

والبحرُ يقرأ وجهَكَ.
حولَ يديكَ البقايا
وأنشودةُ الصمتِ.
مَنْ؟
تدخلُ الآنَ خارطةَ الوطنِ المستحيلْ.
يداكَ تردّانِ أشرِهَةَ البرقِ،
تَنجذرانِ بأرضِكَ.
مَنْ يحملُ العشبَ؟ هذا الفضاءُ رمادٌ
...وتُغلِقُ حُبَّكَ،
تُغرِقُكَ الأرضُ عبرَ التواريخِ:

مُفترَقٌ أنتَ
والأقحوانُ الأخيرُ يحطّمُهُ عِشقُهُ.
دمٌ وتواريخُ تقتصُّ من جثّةِ الوعدِ تارخَها
فلِمَنْ ترحلُ الآنَ، يا سندبادُ؟
وحيدًا تُراوِحُ في النصِّ،
تبحثُ عَمّا يُسَمّى...
وما يرسمُ الوقتُ مُستَوْدَعٌ للرمادْ.
هذا زمنُ النومِ
والأرضُ تسحبُ أقدامَها
ثُمَّ...

مَنْ يُشعِلُ الوقتَ،
مَنْ يحملُ العشبَ،
مَنْ يقرَعُ الذاكرَهْ؟
هكذا يفتحُ النصُّ أشجانَهُ لي
وينحدرُ الزمنُ المستحيلُ
إلى آخرِ الإنفصامِ (لِمَنْ ينحني
ولِمَنْ تخلعُ الشمسُ أثوابَها بعدُ؟
وجهٌ
أَمَ ٱنَّ الدموعَ ٱنتحَلْنَ دياجبرَهُ
ثمَّ ذُبْنَ؟...

أرواحْتَ بينَ دمٍ قذِرٍ
ودمٍ قذرٍ...؟)
مُفترَقٌ أنتَ
ومفترَقٌ هذا التاريخُ
وكلُّ رمادٍ مفترَقٌ...
عيناكَ لِباسُ العشبِ
وعيناكَ سَديمُ الأرضِ المحروقةِ –
مُفترَقٌ أنتَ،
فما وجهُكَ حينَ تذوبُ الدهشةُ؟
ما عيناكَ؟ مراوحَةٌ؟

خارطةٌ للنزْعِ الكونيّ
وللجرحِ الكونِيّ؟
تمرُّ منَ الجرحِ
إلى ما يجعلُ هذا اللونَ كطعمِ رمادٍ صعبًا –
مُفترَقٌ أنتَ
ومفترَقٌ هذا الكونُ
وكلُّ رمادٍ مفترَقٌ...
ما أصعبَ هذا النصَّ!
تُراني أسكُنُ وجهَكَ
أمْ أسكنُ غيبتَهُ؟
أم أسكنُ ما يكسِرُهُ السهمُ إلى قسمينِ:

فضاءٌ

وفضاءٌ...؟

مفترقٌ أنتَ وموعدُكَ النارُ

وهذا الحبُّ المقفَلُ،

مفترَقٌ هذا التاريخُ

وكلُّ رمادٍ مفترَقٌ...

يتكسَّرُ هذا اللونُ وتبقى.

تتناثرُ هذي "الحربُ" وتبقى.

تتعطَّلُ كلُّ دروبِ النصِّ وتبقى

خارطةً، مفترَقًا،

بَحثًا عَمّا يحملُ إسْمًا
في خارطةِ الكونِ الآتي...

(١٩٨٣)

حطام السندباد

أَضَبابٌ...
أَمْ طُرُقاتٌ تخطفُها عيناكَ على مذبحةِ الموجِ؟
ضبابٌ
أَمْ طرُقاتٌ تغرقُ في لُجّةِ عينيكَ
وأنتَ حطامٌ
ينثرُهُ الوقتُ على بابِ المنفى؟
مَنْ يقرعُ قلبَكَ؟ –
مَدَّدْتَ يديكَ،
طَوَيْتَ شُرودَكَ،

واستلقَتْ رؤْياكَ –
آنغَلِقي، يَتُها الرُؤْيا، آنغَلِقي، آنغَلِقي...

ماذا يحملُ هذا الإسْمُ المسكونُ بوحلِ الطرُقاتِ؟
وماذا يبقى
حينَ تُكَوِّمُ تاريخَكَ في قنبلةٍ؟

آآآآآهِ،
أُنغَلِقي، يَتُها الرُؤْيا، آنغلِقي، آنغلِقي...!

(١٩٨٣)

موت السندباد

يفتَحُ الوقتُ وجهَكَ
أوْ
يُغلِقُ الوقتُ وجهَكَ،
ما هَمَّ؟
تحتَ السرابِ سَرابٌ

وبينَ التجاعيدِ مطحنةُ الوقتِ. كيفَ اهتَدَيتَ إلى النصِّ والوقتُ يُغلِقُ رؤْيتَهُ، ولِمَنْ تكتبُ النصَّ؟ كنتَ ترى الشمسَ تركعُ في ورقِ التوتِ والأرضَ تُجمَعُ في نطْفَةٍ،

والفضاءُ يُعلِّقُ أَنْجُمَهُ في
يديكَ ويرحلُ، يَثقبُ مَسرحَهُ ويفيضُ سكونًا –
لِمَنْ تكتبُ النصَّ (مِنفضةٌ أمْ شعوبٌ تجوعُ إلى
رحلةٍ في الرمادِ؟) وكُنهُكَ محترِقٌ – إنّها وِقفةُ
اللازَوَرْدِ العقيقيِّ فاشْرَبْ رَحيلَكَ وَلْتَفْتَحِ الشرقَ
حتّى يقودَ الشروقَ إلى موتِهِ/ كُنهُكَ الآنَ نارٌ
وتحتَ السرابِ سَرابٌ،
فكيفَ اهتدَيتَ إلى النصِّ،
كيفَ اهتَدَيتْ...؟

كيفَ تُفلِتُ من وجهِكَ الآنَ؟/ متَّهَمٌ بالرحيلِ ومُتّهَمٌ بالبقاءِ ومُتَّهَمٌ بالمراوحةِ – الوقْتُ أفلَسَ والأرضُ لَمَّتْ وُرَيقاتِها وتَعَرَّتْ... تَعَرَّ، تَعَرَّ، إذًا، واقطُفِ الكرَزَ المتوحّشَ من جَبهةِ الشمسِ/ مُتَّهَمٌ بالرحيلِ

ومتَّهَمٌ بالبقاءِ

فهلْ ينبتُ الوقتُ في وجهِكَ الآنَ؟

تحتَ الرمادِ وبينَ حراشِفِهِ طُرُقٌ... مَركَبٌ
أنتَ والشمسُ تَكسرُ أَنهارَها دونَ سقفِكَ –
تحتَ الرمادِ وبينَ حراشِفِهِ طُرُقٌ/ كيفَ تَخْنبي
الرئاتُ اللهاثَ ولا تَعَبٌ غيرَ أبخِرةِ الزاحفينَ؟ –
أَتُفلِتُ منْ نَصِّكَ الآنَ؟ رُؤْياكَ غامضةٌ
والصقيعُ يمدُّ عناكِبَهُ،
والرمادْ
طرُقٌ...

عندَما انْحَجَرَ الصوتُ في البرْقِ لَمَ تُعشِبِ الأرضُ (هلْ أمطَرَتْ؟)/ عندما انتصَبَ البرقُ فوقَ الشواطئِ مَجَّ الحديدَ ولمْ تُعشبِ الأرضُ (هلْ أمطرَتْ؟) عندما قُمْتَ من نومِكَ المرِّ لمْ تُعشبِ الأرضُ. حتّى الرمادْ

مَطَّ أَذْرُعَهُ وتثاءَبَ،

حتّى الرمادْ

ذَرَّ منهُ اللهاثَ ولمْ تُعشِبِ الأرضُ (هلْ أمطرَتْ؟) إنَّكَ الآنَ تخرجُ من وجهِكَ المستحيلِ وتحترفُ الطيشَ، يحملُكَ المَوْجُ نحوَ احتراقِكَ: هذا اللهيبُ ثقيلٌ، وهذا الدمارُ الذي قد يُقَسِّمُ وجهَكَ، يا سِندبادُ، مُراوَحةٌ... آهِ، لا تستطيعُ المغادرةَ الآنَ —

مُتَّهَمٌ...

حولَكَ الجِذْرُ يَنحَسِرُ النورُ عنهُ

وحولَ مَداكَ التَنانينُ،

مُتَّهَمٌ

آهِ، مُتَّهَمٌ...

حولَكَ القَفْرُ واللهَبُ المستحيلُ،

فهل يُسحَبُ النصُّ منكَ؟/ وحيدٌ، وحيدٌ

أمامَ المتاهِ، وكفّاكَ أرصفةٌ من خرابْ... تَهُمُّ –

وُلوجُكَ صَعبٌ والتاريخُ بقايا.

حطبٌ في عينيكَ

وحولَ مداكَ لَهيبٌ...

حطَبٌ...

حطبٌ في خطَواتِكَ والتاريخُ بقايا –

مُتَّهَمٌ أنتَ ونصُّكَ أصعَبُ من أحلامِكَ. آهِ،

وُلوجُكَ صعبٌ... تدخلُ/

تَهوي/

ينقفِلُ التاريخُ عليكَ – لماذا لا تُمطرُ عيناكَ فيمتدُّ إلى الجذرِ رذاذُكَ؟

تهوي/

أَعْمَقُ ما في هَولِكَ هَوْلُكَ!

تهوي/

أنتَ شَريدٌ، تركعُ في شمسِ الشرقِ وتكسِرُ جَفنيكَ ولا تحلمُ (هل تُمطِرُ كفّاكَ؟)/ لماذا تستجدي الشرقَ وترحلُ في الجرحِ بعيدًا؟

تهوي/

أَصْعَبُ ما في هَولِكَ هَوْلُكَ!

تهوي/

لا تُجديكَ ذبائحُكَ الآنَ ولا أحطابُكَ/

تهوي –

آهِ ٱلهوَّةُ

آهِ ٱلهُوّةُ

آهِ ٱلهوَّهْ...

(١٩٨٤)

سندباد الرحلة المستحيلة

– ١ –

أَوْغَلَت بينَ عينيهِ دربٌ
ولَمّ الصدى جَفْنَه المتحَطِّمَ –

كانَ الخِضَمُّ يقودُ الخِضَمَّ إلى التِيهِ،
والصبرُ يذوي على موجَةٍ
هاجرَتْ لونَها.
كانتِ الأرضُ أَضيَقَ منْ إِبرةٍ،

والبراري
وجوهًا من الصمتِ
حولَ ٱتِّهامٍ طويلٍ...
أَوْغلَ الطَعْنُ في الطَعْنِ
وانعقَدَ الرعْبُ بينَ الرذاذِ:

هنا هَوَّمَ الشبحُ المشرئِبُّ
وعادَ إلى البحرِ،
عادتْ إلى البحرِ كلُّ الخطى...
مُتعَبًا كنتَ ترمي الحقائبَ،

توغِلُ في الصمْتِ:
غيمٌ، ثلوجٌ منَ الفِكرِ،
بعضُ وِحامٍ عقيمٍ،
سكونٌ...
ويذوي على وجهِكَ الآسُ والزعفرانُ،
تمرُّ الليالي عليكَ
وينطفئُ البحرُ في مُقلتَيْكَ،
يُراوِحُ بينَ ضلوعِكَ وجهُ الدروبِ...
ولا يوقِظُ الدربَ إلّا رحيلٌ إلى الأَقْنِعَهْ!

حينَ كانَ الخِضَمُّ يقودُ الخِضَمَّ إلى التَيْهِ
كنتَ غِيابًا،
وحَولَ الليالي
عيونُ الليالي،
وحولَ العيونِ
ليالٍ... ليالي...
لماذا، إذًا، هاجرَ البحرُ أَلْوانَهُ
واستَعانَتْ بكَ الريحُ كي تجلدَ البحرَ، يا سندبادُ،
أَغادَرْتَ؟

أَمْ أنَّ آلِهَةَ البحرِ أَمْسَكْنَ مَركَبَكَ الطُّحْلَبِيَّ؟

أَغادَرْتَ؟

كانتْ ثقوبُ الصدى تُخرِجُ الكونَ من هَولِها

وينتحِرُ العِشْقُ في مقلتَيكَ،

يدورُ بكَ البحرُ،

يحترقُ الموجُ فوقَ الشواطِئِ —

كيفَ السبيلُ إليكَ

وأَنتَ الرحيلُ إلى حلُمِ النصِّ،

يا سِندِبادْ؟

– ٢ –

أَوْغَلَتْ بينَ عينيهِ دربٌ
ولَمَّ الصدى جَفنَه المتحَطِّمَ –
كنتَ تقرأُ
حينَ تقطَّرَتِ الشمسُ في قلبكَ الغَسَقِيّ.
تلَوَّنْتَ بالأُرجوانِ الذي نزَفَ الدربَ
والوقْتَ –

كيفَ احترقْتَ
وأنتَ تقطَّرَتِ الشمسُ في قلبكَ الغَسَقِيّ؟

(هنا تفتَحُ الدربُ أَلْوانَها لي.
أَمُرُّ على مَطرَحِ الليلِ،
أَتْرُكُه في يَدَيَّ –
وَيَكسِرُني الليلُ،
يَكسِرُني الهدَفُ المستَحيلُ/

أَمُرُّ على خاطِرِ العِشْقِ
(هلْ كانَ عِشْقًا؟)
ويطرُدُني الوطنُ المستحيلُ
و...
ها تفتَحُ الدربُ أشْجانَها لي...)

ترامَيْتَ، يا سِندبادُ،
رحَلْتَ إلى النصِّ والنصُّ مُحترِقٌ،
رحَلْتَ إلى الوطنِ المنحَني

وَهْوَ يُغلِقُ عينيهِ فَوقَ البحارِ،
رحَلْتَ إلى آخِرِ الرحلةِ المستحيلةِ
حتّى تَرامَيْتَ
مِثلَ البذارِ الذي ٱختنَقَتْ أَرضُهُ
في نفجارِ الترابِ –
تَرامَيْتَ في المدِّ،
في قلبكَ الغَسَقِيِّ،
ترامَيْتَ حتّى انعَقَدْتَ معَ الرعْدِ
بينَ الرذاذِ،
وأَسْدَلْتَ عينيكَ فوقَ الرمادِ،

ترامَيْتَ في المدِّ،
في قلبكَ الغسَقِيّ،
وفجَّرَكَ العِشْقُ،
فَجَّرَكَ الوَجْدُ، يا سِندبادُ،
تقَطَّرَتِ الشمسُ في قلبكَ الأُرجُوانِيّ/
كنتَ الطريقَ المحالَ إلى الوطنِ المستحيلِ
تُوَزِّعُ قلبكَ أرصفةً للجياعِ،
وينتحِرُ العِشْقُ في مقلتَيْكَ –
تمرُّ على النصِّ،
تغرقُ في النصِّ تحتَ انهيارِ الضَياعْ...

(١٩٨٥)

رؤيا السندباد

– ١ –

كلّما أَوْغَلَتْ في مَتاهاتِكَ الدربُ
أَتْلَفَكَ العِشْقُ،
وانْقَفَلَ البحرُ حَوْلَ مَدارِكَ.

(هلْ تُفرِغُ الوقتَ من ذاتِهِ
أوْ تُراكَ تَسيلُ معَ الوقْتِ، يا سِندِبادُ،
ويقتُلُكَ العِشْقُ...؟

هلْ أَمْطَرَتْ بينَ عينيكَ والدمعِ،

أوْ

تُراها تَرامَتْ على حُلمِكَ الشمسُ واحترقَتْ...؟)

كنتَ تخرجُ من هاجسِ الزَهْرِ نحوَ الرحيلِ،

ولكِنّما البحرُ يُلْقي بأشلاءِ عَظْمِكَ في مُتْحَفِ الليلِ.

تغدو غريبًا،

يداكَ رمادٌ، وعيناكَ كَهفانِ...

آآآآآهٍ... (أمُتَّ؟

أَمَ أنَّكَ تُبعَثُ حَيًّا إلى جَنّةِ الموتِ، يا سِندبادُ...؟)

هُنا الزمنُ المتحجِّرُ يُلقى على صدرِكَ البَضِّ،

تخرجُ حَيًّا،

تموتُ

وتَخرجُ حَيًّا،

ولَكِنّما كُنتَ دومًا تموتُ...

وتمشي على ما ترَسَّبَ منكَ جَنازَتُكَ المستحيلةُ!

آهٍ، تُرى، تستديرُ السطورُ، ويَنقَفِلُ النصُّ حَولِيَ حينَ أراكَ؟ يصيرُ الفضاءُ مدادًا فراغًا يُطَرِّزُهُ الوجَعُ المتلألِئُ، والبحرُ ريحًا نهبٌ مُلَوَّنَةً بازْرِقاقِ الفجيعةِ.

كنتَ تنامُ على نصِّكَ المستحيلْ
والصدى يتساقَطُ فوقَ الصدى،
والضَياعُ يُعانِقُ وجهَ الرحيلِ الطويلْ...

– ٢ –

كيفَ طاردَكَ البحرُ حينَ رأيتَ انتهاءَكَ منهُ

فعُدْتَ إليهِ
كما تُشرِقُ الشمسُ بعدَ الدُجى
نقطةً من دمٍ في جبينِ الفضاءْ!
وحمَلْتَ السفينَ إلى حيثُ لا ينضجُ الخبزُ،
حيثُ السماءْ
ترتدي وجهَها
وتُضَيّعُ ما عرَفَتْ من ملامِحَ...
غادرتَ،
واللهُ شاخَ على الرحلةِ المستحيلةِ.

حَمَلْتَ السفينَ، وطارحَكَ النصُّ آلامَهُ –

رأيتَ النجومَ تحطُّ على
ورَقِ التوتِ أرصِفَةً يُثَقِّبُها الإنشِطارُ – رأيتَ السفينْ
دخانًا يطيرُ بمَن فيهِ نحوَ الرمادْ،
وكنتَ المجاذيفَ،
كنتَ الرحيلَ الذي يَمخضُ الأرضَ موتًا...
لماذا، إذًا، تلبَسُ النصَّ، يا سِندِبادُ،
تَحوكُ بهِ حُلْمَكَ المستحيلَ،

وتكسِرُهُ مثلَما يكسِرُ الغاضِبُ اللهَ،
تَكسِرُهُ، ثمَّ تركَعُ فيهِ،
وتبكي عليهِ،
وتكسِرُهُ،
ثمَّ تركَعُ فيهِ...؟

وحيدًا،
وحيدًا كَما تُفرَغُ الأرضُ من ذاتِها
تحملُ العصرَ بعضَ شظايا
وشمسًا مُخَبَّأَةً

وجَماجمَ...
تحملُ هذا السفينَ الذي قَدَّدَتْهُ الجراحُ،
وترحَلُ... ترحَلُ... توغِلُ في البحرِ، يا سِندبادُ،
يُحاصِرُكَ الشوقُ... والشَوكُ...
توغِلُ في البحرِ –
يحملُكَ الحُلْمُ نحوَ انتهاءِ السديمْ،
وتبقى برحلتِكَ المستحيلةِ
وجهًا يراوِحُ خلفَ الحطامِ القديمْ...

(١٩٨٥)

السندباد والتاريخ

رَمَتِ البقايا في البقايا ما يُخَلِّفُهُ فراغُ البحرِ/ كانتْ أَعْيُنُ الريحِ احتراقًا، كانتِ الأَرضُ اسودادًا في جبالِ الموجِ (هلْ هاجَرْتَ في عَرشِ الطوائفِ أوْ تُراكَ تَرَكْتَ في التاريخِ جرحًا ليسَ يَندَمِلُ؟)

كانتْ طِباعُ الرملِ تلتَمِسُ الحِصارَ – تُلامِسُ التاريخَ، تَصدَعُهُ؛ وفي قاعِ الملوحَةِ يَكسرُ القِرْشُ الملامِحَ... إنّه زمَنُ الملوحةِ. إنّها أرضي، وفي أرضي قرارٌ قَصَّفَتْهُ لُعبةُ الموتى... (تُراكَ رَمَيْتَ أَشْرِعةَ المراكبِ في البحارِ ورحتَ تنفَصِلُ وتَفصِلُ باحتراقِكَ كلَّ ما رفَعَتْ ذراعُ البرقِ؟) تحتَ الرَدْمِ تاريخٌ وذاكرةٌ تضَلُّ طريقَها. كانتْ عيونُ البرقِ محبرةً تُطَرِّزُ في الفضاءِ حريقَ أَنْجُمِهِ – يُطَرِّزُكَ الحريقُ، يُطَرِّزُ الوقتَ المحجَّرَ في مَزابلِ كلِّ طائفةٍ، وتحتَ الردْمِ تاريخٌ وذاكرةٌ...

لِمَنْ تَبكي...؟ أَتَحْتَرِفُ الضَياعَ أَمَ أَنَّ وَجْهَكَ كانَ محرقةً لشعبٍ أَرَّخَتْ أطماعُهُ زمنَ الحِصارِ؟ لِمَنْ، تُراكَ، تزِفُّ صمتَ المستحيلِ، تمرُّ مِثْلَ النيزَكِ المحمومِ، تُحفِلُ وَحشَهُ، تمضي وتحترفُ الضَياعْ؟

كانتْ على عينيكَ أَرْصفَةٌ تطولُ

كما يُطيلُ العُقمُ صَحراءَ القِناعْ،

كانتْ بعينيكَ البقايا تصدَعُ التاريخَ. هلْ نهضَتْ رمالُ الشرقِ تحترفُ الهبوبَ أَوَ أَنَّ عاصفةَ الترابِ كَبَتْ، فما نَهَضَتْ رياحٌ بعدُ؟

وجهُكَ يفتحُ الآتي، ووجهُ الأرضِ مُنقفِلٌ على قبرِ الطوائفِ. وجهُكَ البحرُ المشَرَّعُ للضبابْ...

رمَتِ البقايا للبقايا ما يُخلِّفُهُ فراغُ البحرِ/
كانتْ قُبَّةُ الحُلْمِ المصفَّحِ نيزكًا، كانَ السَرابْ

كَفَنًا يُلَفِّعُ لعنةَ التاريخِ، يُعْمي ما تراخى الموتُ عنهُ/ كيفَ تسكُنُني وأنتَ قراراتي؟ كيفَ السبيلُ إلى دخولِ عِمادةِ التَرْحالِ؟/ وَصْمَتُكَ البغيضةُ أَنَّكَ الآتي، ولكِنَّ السماءَ تَكَوَّمَتْ في مُهجةِ البركانِ وانفجَرَتْ، أَمُتَّهَمٌ أَمَ ٱنَّ النصَّ مُتَّهَمٌ بإبقاء المدى في الدائرَهْ؟

طَمَرَتْكَ أنقاضُ الطوائفِ،
والملوكُ تَبيعُ لَحْمَكَ
من بقايا الذكِرَهْ.

(١٩٨٦)

الفهرس

عندما هاجرالسندبادُ وعاد	ص ١
عودة السندباد	ص ١١
السندباد الأخير	ص ١٩
حطام السندباد	ص ٣٣
موت السندباد	ص ٣٥
سندباد الرحلة المستحيلة	ص ٤٥
رؤيا السندباد	ص ٥٥
السندباد والتاريخ	ص ٦٣

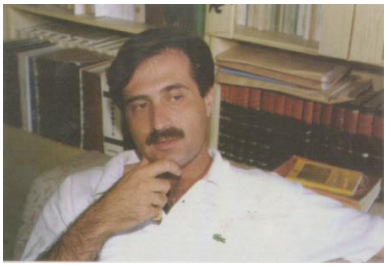

مُفترَقٌ أنتَ

والأقحوانُ الأخيرُ يحطّمُهُ عِشقُهُ.

دمٌ وتواريخُ تقتصُّ من جثّةِ الوعدِ تارخَها

فلِمَنْ ترحلُ الآنَ، يا سندبادُ؟

وحيدًا تُراوِحُ في النصِّ،

تبحثُ عَمّا يُسَمّى...

وما يرسمُ الوقتُ مُستَوْدَعٌ للرمادْ.